یوسف السباعي : حیاته و خدماته الأدبیة

ڈاکٹر حامد حسین *

Yousaf Al-Sibaa'e is a famous writer of Egypt. His writings enriched the Arabic literature with unique & attractive expressions. He has fifty famous literary books at his credit. Apart from his literary services, he also remained minister of culture in March 1973 at Egypt. He was also member of many esteemed bodies & forums of different organization & institutes. This article has good information about his life and literary services.

یوسف السباعي روائي و قاص و مسرحي مصرى ، ولد في حارة الروم بالدرب الأحمر(1) في 10 یونیو عام 1917م (2) في عائلة كبيرة من العائلات المشهورة في بني على وهى عائلة حسنية علوية شريفة لها أصول مغربية من نسل ملوك الأدراسة، هاجر الجد الأول لهذه العائلة من الجزيرة العربية الي مصر.مكث فترة في محافظة أسيوط ثم انتقل الى القاهرة(3).

وهذه الأسرة لا تزال محتفظة بشجرة نسب نسلها بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت وزارة الأوقاف المصرية كعهدها مع الأشراف الذين ينتمون الى ال البيت تحدد هم مكافأة سنوية لهذا الجاه الشرفى.

والده محمد **عبد الوهاب** السباعى و عمه طه أول المتعلمين في الأسرة.فقد سبقهما سليمان السباعي الذى كان محررا في جريدة الوقائع المصرية(4).وكان والده محمد السباعى أديبا مترجما شهيرا في عصره و عرّف الشعب المصرى على ديكنز وسبسنر و أديسون و شكسبير و ترجم الكثير من القصص الكثيرة و مصّرها بأسلوبه الرائع فضلا عن مؤلفاته الشخصية و منها الصور و السمر و ذات القلوب البيضاء و غير ها(5). و كثير من الناس لا يعرفون أن والد یوسف السباعى أى محمد السباعى كان أستاذا لطه حسين و عباس العقاد و ابراهيم المأزنى.(6)

* اسسٹنٹ پروفیسر، شعبہ عربی، پنجاب یونیورسٹی اورینٹل کالج، جامعہ پنجاب، لاہور

درس أديبنا يوسف السباعى المرحلة الابتدائية بمدرسة محمد على بحي السيدة زينب ثم قدم أوراقه الى المدرسة الخديوية الثانوية ومن هنا بدأت صفحة جديدة في حياته ، أخذ يدرس الأدب والثقافة و طريقة الكتابة تحت اشراف والده محمد السباعى(7). ومع الأسف، غاب الأب عن دنياه للأبد حينما كان في الرابعة عشرة من عمره.وفي1930م بعد وفات والده انتقلت الأسرةالى شبرا من جنينة ناميش لتكون قريبة من العم طه السباعى وهو كان يدرس فى الصف الثانى الثانوى (8) حصل على القبول بالقسم العلمي بمدرسة شبرا الثانوية وفي هذه المدرسة أعد مجلة باسم شبرا الثانوية و نشرها أول قصته : " فوق الأنواء" في سنة 1934م وهو ابن 17 سنة (9). و أعاد نشرها في مجموعته الأولى "أطياف" سنة 1947م . وبعد فترة انتقل عمه الى مصر الجديدة و اشترت أم يوسف " الست عيشة" قطعة أرض لتبنى عليها بيتا في روض الفرج.

وفي عام 1935م ،كتب يوسف قصته الثانية " تبت يدا أبي لهب وتب "التى نشرت في مجلة " مجلتي". وهذه المجلة كانت تنشر تحت رئيس تحريرها أحمد الصاوى محمد (1902-1989م)(10).ثم حصل على البكالوريا. وتزوج مع ابنة عمه واسمها دولت السباعى.

وفي نوفمبر عام 1935م كذلك ، التحق يوسف السباعى بالكلية الحربية بمساعدة عمه طه السباعى الذى كان مؤظفا كبيرا في وزراة المالية(11). تخرج من الكلية الحربية عام 1937م ضابطا بسلاح الفرسان، وعيّن للكلية الحربية عام 1943م مدرسا لمادة التاريخ العسكري(12). ونال شهادة الأركان حرب في دفعة متقدمة عام 1944م. تولي العديد من المناصب منها تعيينه في عام1952 م مديرا للمتحف الحربي (13). و بعد التقاعد من العسكرية كعميد حصل على القبول في الدبلوم بمعهد الصحافة بجامعة الفاهرة(14).

وفي عام 1956م عيّن سكرتيرا عاما للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والاداب و العلوم الاجتماعية و تولى تأسيس هذا المجلس. وفي السنة القادمة ، عيّن سكرتيرا عاما لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية الاسيويةفي عام 1966م ثم رأس مجلس ادارة مؤسسة روز اليوسف بعد تأميمها عام 1961م. وصار رئيس التحرير لمجلة اخر ساعة عام 1967م (15). حصل على جائزة لينين للسلام عام 1970 .و عيّن رئيسا لمجلس ادارة دار الهلال عام 1971م. انتخب رئيسا فخريا لجمعية كتّاب ونقاد السينما منذ بدء إنشائها، وعينه الرئيس أنور السادات في مارس 1973م وزيرا للثقافة، وكان وزير الثقافة ابان حرب أكتوبر1973م ثم اصبح عضوا في مجلس إدارة مؤسسة الأهرام عام 1976، بينما تم انتخابه نقيب الصحفيين المصريين في عام1977م(16).

فاز بجائزة الدولة التقديرية في الآداب ورفض استلام الجائزة لأنه كان وزيرا للثقافة في ذلك الحين ، ومنح وسام الاستحقاق الإيطالي من طبقة فارس، ومنح وسام الجمهورية من الطبقة الأولي من جمهورية مصر العربية،وفي سنة 1976، فاز بجائزة وزارة الثقافة والإرشاد القومي عن أحسن قصة لفيلمي (رد قلبي) و(جميلة الجزائرية) وأحسن حوار لفيلم (رد قلبي) وأحسن سيناريو لفيلم (الليلة الأخيرة). عرضت له السينما المصرية أكثر من قصة أشهرها فيلم " رد قلبي " و " الليلة الأخيرة " و " أرض النفاق " و " بين الأطلال " و " إني راحلة "(17) .

و بحكم تقلده للمناصب الحكومية كان اسمه على قائمة الاغتيالات التى أعقبت قيام السادات بزيارة القدس وهو ما حدث بالفعل (18). في يوم الجمعة 18 فبراير من عام 1978، اغتيل يوسف السباعي على أيدي رجلين فلسطينيين في العاصمة القبرصية "نيقوسيا" عندما ذهب إلى هناك على رأس وفد مصري لحضور مؤتمر منظمة التضامن الآفروآسيوي.(19) وشيعت جنازته في مصر عسكريا(20).

ان يوسف السباعى قد ركز فكره على الانسان وحريته و حقه في الحياة الحرة الكريمة. وكان يملاء قصصه و رواياته عن بطولة الانسان بصورة رائعة. نرى أنه يناصر البشرية و

يدعوها الى هدم كل ما هو فاسد و يشاركها الهجوم على الظلم و يضع يده في يد الانسان ليشاركه في اعادة بناء الحياة (21)

ان الدعوة الى الاصلاح الاجتماعى مرحلة أولى من مراحل النمو الفكرى عند السباعى وذلك في معالجة جوانب البطولة في الانسان المصرى و مشاكل مجتمعه. قد قرأ السباعى كتابات والده النقدية اللاذعة و أنه كان معجبا بشجاعة والده في هجومه النقدى على رجال الحكم دون خوف من أجل اصلاح حال الناس و هذه القدرة الأولى حفرت في وجدانه نهرا صغيرا بدأت أمواجه تضطرب و تدفع دفعا الى جزور الفكر الثوري.

ولا شك فيه أنه اعتنق فكر قاسم أمين ــ الداعية الى تحرير المرأة في مصر ــ و رفاعة الطهطاوي حول النهضة والتنوير، وكان عليه أن يضيف شيئا جوهريا الى من سبقوه، هذا ما فعله فقد طور دعوة قاسم لتحرير المرأة وذلك في رواية " اني راحلة" و صور فيها الانسان الذى يجاهد مجموعة من العقابات المتكررة من عصر الى عصر(22).هذه الأعمال الاصلاحية تشكل علامة بارزة في عالم السباعى كروائى ومفكر ثوري و مصلح اجتماعى.

كان السباعى يرى الأمية والجهل العام سببا رئيسيا للتخلف الفكرى و المادى في العالم العربى. رواية السباعى مراة صادقة تعكس افات النفاق و الجوعى والفقراء واحلام الثراء والطمع والطموح.في الرواية "أرض النفاق"التى كتب يوسف السباعى في عام 1949م يهدف النقد الاجتماعى فالبطل أو الرواي هو الذى يشكل العمود الفقرى للرواية من خلال تصرفاته و باقى الشخصيات عبارة عن مجرد ملامح الاجتماعية معينة تبلور مدى الصراع بين القيم الاجتماعية المختلفة(23).

كان السباعى بحسه الفنى و وعيه الفكرى وبثورته التى قد وضعتها داخل الضمير المصري كاتبا و مؤرخا ثوريا اجتماعيا بمسؤليات واضحة في قيادة الحركة الثقافية والأنشطة السياسية والأدبية للدول اسيا و افريقيا(24)

يبلغ عدد كتب السباعي خمسين كتابا و عرفته هذه الكتب في دوائر الأدب و الفن ونقدم فهرس انتاجاته فيما يلي:

1-أطياف (قصص قصيرة) 1947

2- نائب عزرائيل (رواية) 1947

3- أثنتا عشرة امرأة (قصص قصيرة) 1948

4- خبايا الصدور (قصص قصيرة) 1948

5- يا أمة ضحكت (قصص قصيرة) 1948

6- اثنا عشر رجلاً (قصص قصيرة) 1949

7- أرض النفاق (رواية) 1949

8- في موكب الهوى (قصص قصيرة) 1949

9- من العالم المجهول (قصص قصيرة) 1949

10- هذه النفوس (قصص قصيرة) 1950

11- مبكى العشاق (قصص قصيرة) 1950

12- إني راحلة (رواية) 1950

13- بين أبو الرئيس وجنينة ناميش (قصص) 1951

14- أغنيات (قصص قصيرة) 1951

15- أم رتيبة- (مسرحية) 1951

16- هذا هو الحب (قصص قصيرة) 1951

17- صور طبق الأصل (قصص قصيرة) 1951

18- بين الأطلال (رواية) 1952

19- السقامات (رواية) 1952

20- سمار الليالي (قصص قصيرة) 1952

21- الشيخ زعرب وآخرون (قصص قصيرة) 1952

22-نفخة من الايمان (قصص قصيرة) 1952

23- وراء الستار	(مسرحية)	1952
24-ست نساء و ستة رجال	(قصص قصيرة)	1953
25-هذه الحياة	(قصص قصيرة)	1953
26- البحث عن جسد	(رواية)	1953
27- جمعية قتل الزوجات	(مسرحية)	1953
28- فديتك يا ليلى	(رواية)	1953
29- ليلة خمر	(قصص قصيرة)	1953
30- همسة عابرة	(قصص قصيرة)	1953
31- رد قلبي	(رواية في جزأين)	1954
32-ليال و دموع	(قصص قصيرة)	1955
33- طريق العودة	(رواية)	1956
34- أيام التمر	(مقالات)	1957
35- من حياتي	(مقالات)	1958
36- لطمات و لثمات	(مقالات)	1959
37- نادية	(رواية في جزأين)	1960
38- جفت الدموع	(رواية في جزأين)	1961
39- أيام مشرقة	(مقالات)	1961
40- أيام و ذكريات	(مقالات)	1961
41- أيام من عمري	(مقالات)	1962
42- ليل له آخر	(رواية في جزأين)	1964
43- أقوى من الزمن	(مسرحية)	1966
44- نحن لا نزرع الشوك	(رواية في جزأين)	1969
45- لست وحدك	(رواية)	1970
46- من وراء الغيم	(مقالات)	1970

47- أيام عبدالناصر (مقالات) 1971

48- ابتسامة على شفتيه (رواية) 1971

49- طائر بين المحيطين (رحلات) 1971

50- العمر لحظة (رواية) 1973

الهوامش

1 . ديوان العرب، مجلة أدبية فكرية ثقافية اجتماعية، 23 يونيو 2006م
http://www.diwanalarab.com

2. حمدي السكوت، الدكتور: قاموس الأدب العربي الحديث، ، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2007م. ص:623

3.حنان مفيد: يوسف السباعي سبعة وجوه، دار الشروق،القاهرة،مصر،الطبعة الأولى2005م.ص:.16

4.المرجع السابق

5.المرجع السابق،ص:19